

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة التين مكية

وَالزَّيْتُونِ وَالزَّيْتُونِ (١)

اقسم بهما لأنهما عجيبان من بين اصناف الأشجار المثمرة. وروي أنه أهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين فاكل منه، وقال لأصحابه: «كلوا، فلو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه. لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»⁽³⁾. ومرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك وقال: إنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة»⁽⁴⁾. وسمعته يقول: «هي سواكي وسواك الأنبياء قبلي». وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل: جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما: بالسريانية: طور تيناً وطور زيتاً لأنهما منبتا التين والزيتون. وقيل: التين جبيل ما بين حلوان وهمدان، والزيتون جبال الشام لأنها منابتها. كأنه قيل: ومنابت التين والزيتون.

وَالطُّورِ بَيْتِينَ (٢)

وأضيف الطور، وهو الجبل إلى سينين وهي البقعة. ونحو سينون يبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون بحركات الإعراب.

وَعَدَا آلِئِذٍ الْأَيْمِينَ (٣)

والبلد: مكة حماها الله. والأمين: من أمن الرجل أمانة فهو أمين. وقيل: أمان، كما قيل: كرام في كريم، وأمانته أن يحفظ من نخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل، كما وصف بالأمين في قوله تعالى: «حَرَمًا آمِنًا»⁽⁵⁾ بمعنى: ذي أمن. ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين. فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي منه موسى. ومكة: مكان البيت الذي هو هدًى للعالمين، ومولد رسول الله ﷺ ومبعثه.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)

فإن قُلْتُ: فما معنى هذا التنكير؟ قُلْتُ: التفخيم. كأنه قيل: إن مع العسر يسراً عظيماً أي يسر. وهو مصحف ابن مسعود مرة واحدة.

فإن قُلْتُ: فإذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين! قُلْتُ: كأنه قصد باليسرين ما في قوله: يسراً من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة.

فإن قُلْتُ: فكيف تعلق قوله:

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٥)

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ بما قبله؟ قُلْتُ: لما عد عليه نعمه السالفة ووعده الأنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلو وقتاً من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة نبيه بأخرى. وعن ابن عباس: فإذا فرغت من صلواتك فاجتهد في الدعاء. وعن الحسن: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة. وعن مجاهد: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلواتك. وعن الشعبي أنه رأى رجلاً يشيل حجراً فقال: ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغاً من غير شغل، أو اشتغاله بما لا يعنيه في بيته أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة. ولقد قال عمر رضي الله عنه: إنني لأكره أن أرى أحداً فرغاً سبهلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخره⁽¹⁾. وقرأ أبو السمان: فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة. ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي: فانصب علياً للإمامة، ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض على وعداوته.

وَلَا رِيكَ فَارْغَبْ (٦)

﴿وَالرَّيِّكَ فَارْغَبْ﴾ واجعل رغبتك إليه خصوصاً ولا تسأل إلا فضله متوكلاً عليه. وقرئ: فرغب أي: رغب الناس إلى طلب ما عنده. عن النبي ﷺ: «من قرأ ألم نشرح فكننا ما جئنا وأنا مقدم ففرج عني»⁽²⁾.

(3) أخرجه أبو نعيم في كتاب: الطب، الزيلعي 241/4.

(4) رواه الطبراني في الأوسط والثعلبي في تفسيره، الزيلعي 242/4.

(5) سورة القصص، الآية: 57.

(1) حديث عمر قال عنه الزيلعي 236/4 وحديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة 300/13 كتاب: الزهد، باب: كلام ابن مسعود.

(2) ذكره الثعلبي وابن مرويّه والواحدي في تفاسيرهم، الزيلعي 4/

﴿ليس الله باحكم الحاكمين﴾ وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله. وعن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين⁽²⁾. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة»⁽³⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العلق مكية

عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت. وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم.

أَفْرَأَى إِسْمَ رَبِّكَ الَّذِي عَلَّمَ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٦

محل ﴿باسم ربك﴾ النصب على الحال، أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل بسم الله ثم اقرأ.

فإن قُلْتَ: كيف قال: ﴿خلق﴾ فلم ينكر له مفعولاً. ثم قال: ﴿خلق الإنسان﴾؟ قُلْتَ: هو على وجهين: إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه، وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض. وقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناول الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان﴾⁽⁴⁾ فقيل الذي خلق مبهماً، ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجيبة فطرته.

فإن قُلْتَ: لم قال: ﴿من علق﴾ على الجمع، وإنما خلق من علقه. كقوله: ﴿من نطفة﴾⁽⁵⁾ ثم من علقه؟ قُلْتَ: لأن الإنسان في معنى الجمع. كقوله: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾⁽⁶⁾.

أَفْرَأَى رَبَّكَ أَكْبَرُ ۝ ٧

﴿الأكبر﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجودهم لنعمه وركوبهم المناهي وأطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم. فما لكرمه غاية ولا أمد وكانه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال: الأكبر.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ۝ ٨

﴿في لحسن تقويم﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه.

ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَتْفَلًا سَابِغِينَ ۝ ٩

ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمته تلك الخلقة الحسنة القويمة لسوية أن رددناه أسفل من سفلى خلقاً وتركيباً، يعني: أقيع من قبيح صورة وأشوهه خلقاً وهم أصحاب النار، أو أسفل من سفلى من أهل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفلى. وحسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله، وأبيض شعره بعد سواده، وتشين جلده وكان بضاً، وكل سمعه وبصره وكانا حديدين، وتغير كل شيء منه فمشيه لليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف. وقرأ عبد الله: أسفل السافلين.

فإن قُلْتَ: فكيف الاستثناء على المذهبيين؟ قُلْتَ: هو على الأول متصل ظاهر الاتصال، وعلى الثاني منقطع.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرِهُوا فَأَلِيحِينَ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ ١٠

يعني: ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمي فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخالذ نهوضهم.

فإن قُلْتَ:

فَمَا يَكْفُرُكَ بَدًّا بِإِيَابٍ ۝ ١١

﴿فما يكذبك﴾ من المخاطب به؟ قُلْتَ: هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات. أي: فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذا البليل. يعني: أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب، فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيب الجزاء. والباء مثلها في قوله تعالى: ﴿الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾⁽¹⁾ والمعنى: أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتدرجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثم تنكسه إلى أن يبلغ أرذل العمر. لا ترى ليللاً أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته، فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا البليل القاطع. وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ.

أَيَسَّ اللَّهُ يَأْتِكُمْ لَأَكْبَرُ لَأَكْبَرِينَ ۝ ١٢

(4) سورة الرحمن، الآيات: 1 - 3.

(5) سورة النمل، الآية: 4.

(6) سورة العصر، الآية: 2.

(1) سورة النمل، الآية: 100.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک 510/2.

(3) نكره الثعلبي والواحدي، وابن مريويه، زيلعي 243/4.